

# ثورة العالم الثالث

بقلم الدكتور أبو القاسم سعد الله

( خلال شهر ديسمبر الماضي نظمت جامعة ويسكنسن بمدينة اوكلير ندوة عن « ديناميكية الثورة » اشترك فيها عدد من الاساتذة الجامعيين وتحدث كل منهم عن ثورة من الثورات المعروفة كالثورة الاميركية والفرنسية والروسية . وقد شارك الكاتب بالكلمة التالية عن « ثورة العالم الثالث » ثم ترجمها الى العربية ) .

مشيرا بذلك الى ثورة العالم الثالث . ونفس المؤلف قد تحدث عن « التشكيل الثلاثي لقوى العالم » ممثلا في كتلات الغرب والشرق وافريقيا .

خلال القرن الماضي كتب الثائر الايطالي دانيال مابين : « اننا لا نسأل انفسنا ان تكون انسانية وليبرالية في ايطاليا . اننا نطلب منها ان تخرج من بلادنا . فليس يهمنا من انسانيتهها وليبراليتهها اي شيء . اننا نود ان نكون اسيدا في بلادنا » ( ١ ) . والواقع ان شعوب العالم الثالث لا تريد اكثر من ذلك من اسيدائها المستعمرين . ومهما كان الاسم الذي يطلق اليوم على ثورة افريقيا ، فانها لا تعدو ان تكون ثورة قومية محضة .

وشعوب العالم الثالث تريد حكم نفسها بنفسها مهما كانت النتائج . فقد قال نكروما رئيس غانا السابق : « اننا نفضل حكم انفسنا مع الخطر ، على العبودية مع الهدوء » . اما سيكوتوري رئيس غينيا فقد قال : « اننا نفضل ان نكون احرارا فقراء على ان نكون عبيدا اغنياء » . ان هذين الزعيمين لم يكونا سوى صدى للروح الجديدة المنبعثة في العالم الثالث ، هذه الروح التي نسميها هنا الثورة القومية .

ولكن اذا كان باندونغ يمثل المرحلة الثانية لثورة العالم الثالث ، فان المرحلة الاولى لها قد بدأت منذ امد طويل ، ان اصولها ترجع الى اول اتصال بين المستعمر والمستعمر . ذلك ان الاستعمار قد كان نوعا جديدا من العبودية . فهو يستغل ، ويهيمن ، ويضطهد ، ويمنع الانسان من تطوره الطبيعي . ان الاستعمار قد اعتبر شعوب افريقيا اهلين ( انديجينا ) من غير حقوق سياسية ، او شخصية ثقافية ، او رموز قومية . لقد اعتبرها مخلوقات ناقصة . فرد فعل شعوب افريقيا ضد هذه المعاملة غير الانسانية كان اول اتجاه ثوري تحريري .

(١) كانت النمسا عندئذ تحتل جزءا كبيرا من ايطاليا وتعارض

الوحدة الإيطالية .

حين افتتح الرئيس سوكارنو مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ ، خاطب ضيوفه بالعبارات التالية : « ان قلبي يفيض عاطفة . ان هذا هو أول مؤتمر عالمي للشعوب الملونة في تاريخ الانسانية . ان الاشياء التي توحدنا اكثر من تلك التي تفرقنا بطريقة اصطناعية . اننا جميعا أعداء للاستعمار والعنصرية » .

فمؤتمر باندونغ ، الذي تمثلت فيه ارادة ٥٦ امة افريقية ( افريقية - اسبوية ) ، كان حقا نقطة فاصلة في تاريخ العالم . لقد سجل بداية المرحلة الثانية من ثورة الامم الناهضة ، وخلق روحا جديدة أصبحت تعرف « بروح باندونغ » ، التي تعني قبل كل شيء اكتشاف شعوب افريقيا ( افريقيا واسيا ) لنفسها . ولعل ذلك هو الذي جعل عالما اميركيا يكتب بعد هذا المؤتمر مباشرة : « ان وحدة شعوب العالم الملونة حقيقة جديدة وتغير كبير . ورغم ان هذه الوحدة كانت قادمة منذ خمسين عاما ، فان هذا التغير قد حدث قبل ان يكون الغرب مستعبدا لمجابهته » .

ولكن ما الاوطان التي تشهد ذلك التغير الكبير ؟ هناك عدة تعبيرات متداولة اليوم لوصفها . فبعضهم يسميها البلاد الناهضة او النامية . وبعضهم يدعوها الامم المتخلفة او ارض الامال او الدول غير المنحازة . اما في السياسة العالمية فان عبارة الكتلة الافريقية قد أصبحت شائعة ، وذلك بالمقارنة الى الكتلتين الغربية والشرقية المنحازتين الى ايديولوجيتين متعارضتين . وحديثا اختلق الفرنسيون عبارة « لو تيير موند » او العالم الثالث . ورغم ان هذه العبارة قد اطلقت اصلا على المنطقة الافريقية ، فانها الان تشمل اميركا اللاتينية ايضا .

لقد كان ، وما يزال ، هناك غليان شديد في العالم الثالث . ورغم ان بعضهم يفضل ان يسمي هذا الغليان حركة احتجاج او الرغبة في التعصب او غير ذلك ، فان هناك من يسميه الثورة المضادة للاستعمار . وحديثا اطلق مؤلف اميركي على كتابه عنوان « ثورة اللون »

أكثر من الحرية الفردية . وهي تود أن تشيد قومية حديثة ، ونظاما قوميا للتربية والتعليم ، واقتصادا اشتراكيا ، وحكومة قوية تقوم على نظام الحزب الواحد . وشعوب العالم الثالث تتفق أيضا على احياء تراثها القومي ، وعلى التعاون الاقليمي ، وعلى سياسة عدم الانحياز . ومعنى ذلك أن ثورتها ليست حركة سلبية معادية للاستعمار فقط ، ولكنها أيضا حركة بنائية تستهدف انشاء مجتمع حديث في الداخل وتثبيت ذاتيتها على المستوى العالمي .

ومن الخصائص التي تشترك فيها شعوب العالم الثالث جميعا خصومتها للاستعمار الجديد . ان الفريب غير المتمرس على طبائع هذه الشعوب سيدهش من بعض المفردات الشائعة في لغة العالم الثالث . فهو يسمع للعنات تصب على الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد من جميع المتكلمين تقريبا . ففي عام ١٩٦١ انعقد مؤتمر الشعوب الافريقية الذي أنهى أعماله بلائحة اعتبرت الاستعمار الجديد « اعظم خطر يهدد البلدان الافريقية » . وبناء على ذلك المؤتمر ، فان مظاهر الاستعمار الجديد هي :

- ١ - الحكومات العميلة .
  - ٢ - خلق التكتلات بين الدول .
  - ٣ - بلقانية ( تقسيم ) الدول .
  - ٤ - تسلط القوى الاستعمارية على الاقتصاد المحلي .
  - ٥ - التوقف المباشر على نقد القوى الاستعمارية .
  - ٦ - القواعد العسكرية .
- اما عملاء الاستعمار فهم في رأي المؤتمر :
- ١ - السفارات والبعثات الاستعمارية .
  - ٢ - المسمون بالمساعدين الفنيين التابعين للأمم المتحدة .
  - ٣ - الموظفون العسكريون بالقواعد العسكرية .
  - ٤ - كل النشاطات الاستعمارية والامبريالية تحت ستار الدين ، او التسلح الاخلاقي ، او الثقافي ، او اتحاد التجار ، او منظمات الشباب ، او الهيئات الانسانية .
  - ٥ - الدعاية المسمومة الموجهة من البلاد الاستعمارية والامبريالية .

ومن الواضح ان ثورة العالم الثالث قد تأثرت بالافكار الاوروبية . فرواد هذه الثورة قد قرأوا كلا من المبادئ الليبرالية والماركسية . كما قرأوا مبادئ « الثورة المضرة » عام ١٦٨٨ ( الثورة الانكليزية ) ، و « الثورة البورجوازية » عام ١٧٨٩ ( الثورة الفرنسية ) ، و « الثورة البروليتارية » عام ١٩١٧ ( الثورة الروسية ) .

واذا كان وقع الليبرالية على ثورة العالم الثالث واضحا من خلال النظام الاجتماعي والثقافي لهؤلاء الرواد ، فان وقع الماركسية عليها واضح من خلال تطبيق هؤلاء الرواد للاشتركية التي تقوم بتخطيطها النخبة في كل بلاد . وهذه الاشتركية الانسانية ذات الاقتصاد المختلط ،

والحق ان القوات الاستعمارية لم تحضر معها لهذه الشعوب الاستغلال والاضطهاد فقط ، بل احضرت معها أيضا بعض الافكار القيمة التي ساعدت في النهاية ، بصفة غير مباشرة ، على مضاعفة رد الفعل القومي . من ذلك التنظيم الاداري ، والفلسفة الليبرالية ، والتربية الغربية ، وفكرة القومية نفسها . وقد دخل عدد من الطلاب الاهليين ، بطريقة أو بأخرى ، بعض مدارس المستعمرين وتعلموا منها تلك الافكار . وشيئا فشيئا شكل هؤلاء الطلاب النخبة الطبيعية ، واصبحوا فيما بعد أبطال الثورة التحريرية . وفي نفس الوقت كانت هناك بعض التطورات العالمية التي تسببت في دفع ثورة العالم الثالث القومية الى الامام . ذلك ان القوات الاستعمارية قد تحاربت فيما بينها بمرارة خلال الحربين العالميتين . وكثيرا ما امتدت هذه الحروب الى المستعمرات نفسها . وقد اثرت هذه الحروب بقوة على شعوب العالم الثالث . بل ان منها من اجبر على الحرب الى جانب « الوطن الام » ضد قوة أخرى . وبلاضافة الى ذلك فقد كانت هناك الدعايات التي تنادي الاهليين بالثورة ضد القوة الحاكمة .

ولعل اهم فكرة اثرت على شعوب العالم الثالث خلال الحرب العالمية الاولى هي فكرة « تقرير المصير » التي بشر بها كل من لينين وويلسون لاسباب مختلفة طبعا . اما خلال الحرب العالمية الثانية ، فان المبادئ الديمقراطية التي تضمنها ميثاق الاطلنطي قد جذبت اليها النخبة من شعوب العالم الثالث . والى جانب ذلك ، فقد ظهرت في أوروبا جماعات تنادي بوقف الامبريالية ، ونمت في العالم فكرة التسامح العالمي ، كما بدا ضعف القوى الاستعمارية بعد الحرب ، وبرزت الفكرة الشيوعية . وقد أدى ذلك كله الى ظهور القوميات المحلية في افريقيا .

ولا شك ان هناك اختلافات وتشابهات بين شعوب العالم الثالث . فهي من ناحية لم تخضع لنوع واحد من الاستعمار ، ذلك ان بعضها كان تحت نظام المحميات ، وبعضها كان يخضع لنظام المستعمرات ، وبعضها كان يسمى مناطق وصاية ، وبعضها كان جزءا لا يتجزأ من « الوطن الام » للقوى الحاكمة . ومن ناحية أخرى فهي تختلف في اللغة والدين والعنصر . فبعد باندونغ مباشرة كتب عالم اميركي عن اهل افريقيا : « ان هذه الشعوب تختلف اساسا عن بعضها . فمنها من لا يزال يعبد الاجداد والحيوانات ، ومن يؤمن بتعدد الأزواج والزوجات . ومنها من يعيش في مجتمع بلا طبقية على الاطلاق ، ومن يخضع لقوانين طبقية صارمة . ومنها من يملك نظاما زراعيا جامدا ، ومن أصبح متقدما صناعيا » .

ومع ذلك ، فان شعوب العالم الثالث متشابهة في عدة نواح مما جعلنا نتحدث عن ثورتها كحركة واحدة . انها جميعا ضد الاستعمار . وهي جميعا ترغب في أن تكون سيدة في اوطانها . وكلها تريد تحقيق الاستقلال القومي . وهي تشترك في التركيز على الحرية القومية .

# مقدمات

- ١ -

رسالة بدون رد  
لعاشق حزين  
يدوب الليل مكبا فوقها  
يعصرها ...  
يدوس عزة الحروف دون حد

\*\*\*

ذات مساء  
ألقى بها ساعي البريد  
أمام قصر مد في الغيوم جيد  
ثم مضى  
مدندنا لنا .. سعيد

\*\*\*

ظلت هناك مهملة  
لم تلتفت سيدة القصر لها  
لكن خادم القصر المنيف  
بنظرة واحدة  
ألقى بها في سلة التراب  
ولم يزل مرسلها الحزين -  
عبر تخوم الريح والمطر -  
ينتظر البريد .

- ٢ -

قصيدة لم تكتمل  
مهملة .. منسية .. طي كتاب  
شاعرها داست عليه - فجأة - سيارة الحريق  
ومات في الطريق  
بدون أن يقول أين

- ٣ -

حوار  
يبدأ بين واحد وواحد  
تعارفا ذات مساء حالم في بار  
وحين مد يده ليهتك الأزار  
انفجرت قبلة .. وانهدم الجدار

سيد أحمد الحردلو

الخرطوم

ضرورة لأسباب اقتصادية وأخلاقية ، فهي تقوم على  
متاعر العداوة للحكم الاجنبي ، وعلى فكره المساواه  
الاجتماعيه ، وعلى الرغبه في سرعه التطور .

ونحن نوره العالم الثالث لها مظاهر كثيرة . فقد  
أخذت في بعض الاحيان شكل صراع دموي طويل مثل  
حرب الجزائر التي استغرقت حوالي ثماني سنوات .  
واخذت احيانا شكل الانقلابات والانقلابات المعاكسة مثل ما  
وقع في اميركا اللاتينية ، والشرق الاوسط ، وافريقيا .  
وأخذت احيانا أخرى شكل خصام سياسي حاد أدى في  
النهاية الى نقل السلطة الى أيدي الاهليين مثل ما وقع  
بالنسبة الى شعوب الكومنولث البريطاني والمجموعه  
الفرنسيه .

وعلى هذا الاساس ، فان ثورة العالم الثالث تشترك  
مع الثورات الاخرى ، ولا سيما الثورتين الفرنسيه  
والروسية ، في استعمال العنف ، والاعتماد على  
الجماهيرية ، واللجوء الى حرب الشعارات . كما تشترك  
معها في الوعود الحلوة والحقائق المرة . ولكن ثورة العالم  
الثالث ، بالقياس الى الثورات الاخرى ، تبدو متعسده  
الجوانب . كما انها ما زالت في مرحلة التكوين .

على اننا اذا اعتبرنا فترة ما قبل باندونغ تمثل  
المرحلة الاولى لثورة العالم الثالث ، وفترة ما بعد باندونغ  
تمثل مرحلتها الثانية ، فان عام ١٩٦٠ الذي سماه بعضهم  
عام افريقيا كان بداية لمرحتها الثالثة . وتقوم المرحلة  
الثالثة على تدعيم المكتسبات الثورية وتثبيت الاستقلال  
القومي الذي جاء نتيجة لصعوبات وتضحيات لا تحصى .  
وهكذا نجد اليوم ان طريقة محو الاستعمار تقترب من نهايتها  
في العالم الثالث .

كتب مؤلف اميركي حديثا : « ان اسيا وافريقيا  
تمثلان الاتجاه اللاعقلي لكل من الشرق والغرب » . ولكن  
الحقيقة هي ان ثورة افريقيا غير منحازة . انها ليست  
ثورة شيوعية ولا رأسمالية . انها حركة قومية تناضل من  
أجل تحرير شعوب العالم الثالث من اليأس الاقتصادي  
والتبعية السياسية .

في عام ١٩٥٥ كتب الالماني فيليكس سوماري : « اننا  
نعيش في الفصل الخامس من الثورة الفرنسية » .  
ويبدو ان سوماري كان يشير بذلك الى الحرب الباردة .  
فالى أي مدى أثرت الثورة الفرنسية على الثورة الروسية؟  
والى أي مدى أثرت هاتان الثورتان على ثورة العالم  
الثالث ؟ سواء أكان هناك تأثير مباشر أو لم يكن ، فان  
ثورة العالم الثالث ليست سوى فصل من الثورة العالمية  
الكبرى التي تستهدف تحقيق حياة أفضل لكامل  
الانسانية .

ابو القاسم سعد الله

استاذ في التاريخ